

روح المعاني

خير لكم من بطنها وإذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأمركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من طهرها وإذا لم تكن على ذلك الوجه كان إفساد للدين والدنيا أكثر من صلاحها ومما رزقناهم ينفقون .

38 .

- أي في سبيل الخير لأنه مسوق للمدح ولا مدح بمجرد الأنفاق ولعل فصله على قرينه بذكر المشاورة لأن الاستجابة لله تعالى وأقام الصلاة كانا من آثارها وقيل : لوقوعها عند اجتماعهم للصلوات .

والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون .

39 .

- أي ينتقمون ممن بغى عليهم على ما جعله الله تعالى لهم ولا يعتمدون ومعنى الاختصاص أنهم بالانتصار وغيرهم يعدوون ولا يراد أنهم ينتصرون ولا يغفرون ليتناقض هو والسابق فكأنه وصفهم سبحانه بأنهم الأخلاء بالغفران لا يقول الغضب أحلامهم كما يقول في غيرهم وأنهم الأخلاء بالانتصار على ما جوز لهم إن كانوا ولا يعتدون بغيرهم فهم محمودون في الحالتين بينحسن وأحسن مخصوصون بذلك من بين الناس وقال غير واحد : إن كلا من الوصفين في محل وهو فيه محمود فالعفو عن العاجزالمعترف بجرمه محمود ولفظ المغفرة مشعر به بالانتصار من المخاصم المصر محمود ولفظ الانتصار مشعر به ولو أوقعا على عكس ذلك كانا مذمومين وعلى هذا جاء قوله : إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا فوضع الندي في موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف في موضع الندي وقد يحمد كل ويذم باعتبار آخر فلا تناقض أيضا سواء اتحد الموصوفان في الجملتين أو لا وقال بعض المحققين : الأوجه أن لا يحمل الكلام على التخصيص بل على التقوى أي يفعلون المغفرة تارة والانتصار أخرى لا دائما للتناقض وليس بذاك وعن النخعي أنه كان إذا هذه الآية قال : كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترئ عليهم الفساق وفيه أيماء إلى أن الانتصار من المخاصم المصر وإلا فلا إذلال للنفس بالعفو عن العاجزالمعترف ثم إن جملة هم ينتصرون من المبتدأ والخبر صلة الموصول وإذا ظرف ينتصرون وجوز كونها شرطية والجملة جواب الشرط وجملة الجواب والشرط هي الصلة وتعقبه أبو حيان بما مر آنفا وجوز أيضا كون هم فاعلا لمحذوف وهو كما سمعت في وإذا ما غضبوا الخ وقال الحوفي : يجوز جعل هم توكيدا لضمير أصابهم وفيه الفصل بين المؤكد والمؤكد بالفاعل ولعله لا يمتنع ومع هذا فالوجه في الأعراب ما أشرنا إليه أولا وجزؤا سيئة

سيئة مثلها بيان لما جعل للمنتصر وتسمية الفعلة الثانية وهي الجزاء سيئة قيل للمشكلة وقال جار الله : تسمية كلتا الفعلتين سيئة لأنها تسوء منتزل به وفيه رعاية لحقيقة اللفظ وإشارة إلى أن الانتصار مع كونه محمودا إنما يحمد بشرط رعاية المماثلة وهي عسرة ففي مساقها حث على العفو من طريق الاحتياط وقوله تعالى : فمن عفا أي عن المسيء إليه وأصلح ما بينه وبين من يعاديه بالعفو والأغضاء عما صدر منه فأجره على الله فيجزيه جل وعلا أعظم الجزاء تصريح بما لوح إليه ذلك من الحث وتنبيه على أنه وإن كان سلوك الطريق الاحتياط يتضمن مع ذلك إصلاح ذات البين المحمود حالا ومالا ليكون زيادة تحريض عليه وأبهام الأجر وجعله حقا على العظيم الكريم جل شأنه الدال على عظمته زيادة في الترغيب وجيء بالفاء ليفرعه عن السابق أي إذا كان سلوك الانتصار غير مأمور العثار فمن عفا وأصلح فهو سالك الطريق